القـــرآن الكـــريـم

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامُ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يذكر الناس بالقرآن فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ [ق :٤٥] . وأمره أن ينذرهم به فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ [الأنعام: ١٩]. وأن يخرج الناس به من الظلمات إلى النور ﴿ **الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ①** ﴾ [إبراهيم: ١]، وأخبر سبحانه وتعالى أنه لو أنزل هذا القرآن على الجبال الصم لتصدعت كما قال تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [الحشر: ٢١] . وأخبر أيضاً أنه ميسر للحفظ والفهم: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ⑰** ﴾ [القمر : ١٧] .

وأخبر ﷺ أن الفرق بين البيت الذي يقرأ فيه القرآن والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالفرق بين الحي والميت حيث قال : «**مثل البيت الذي لا يذكر الله فيه والبيت الذي يذكر الله فيه مثل الحي والميت**» .

إذن فالقرآن الكريم هو خير كتاب أُنزل على أشرف رسول أُرسل إلى العالمين أجمعين ، قال تعالى :﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ㉙** ﴾ [ص : ٢٩] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**

تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة ١٥، ١٦] ، وسماه الذكر لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) ﴾ [الزخرف : ٤٤] . وقد توعد الله المعرضين عنه بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه : ١٢٤ ، ١٢٦] .

وقال ﷺ : « **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** » . وقوله أيضاً في حديث آخر: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان** » .

نـــزول القـــرآن :

وقد أُنزل هذا القرآن العظيم في أعظم ليلة على الإطلاق في ليلة القدر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) ﴾ [القدر : ١-٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) ﴾ [الدخان٣ ، ٤] . قال ابن عباس رضي الله عنهما أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ . بينما هو عليه الصلاة والسلام يتحنث

في غار حراء أي يتعبد الله فيه إذا جاءه جبريل عليه السلام في ليلة من الليالي وقال له : «إقراء ، قال : ما أنا بقارئ ، فأعادها عليه ثلاثاً وهو في كل مره يقول له : ما أنا بقارئ ، فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [العلق : ١-٥] ، فرجع النبي ﷺ إلى أهله خائفاً يرتجف فؤاده وترتعد فرائصه وهو يقول :زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب الروع عنه . فأخذته زوجته خديجة رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل الذي كان عنده علم من الكتاب وقصت عليه الخبر ، فقال ورقة بن نوفل : والذي نفسي بيده لئن صدقت يا خديجة ، فهذا الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام ، يا ليتني جذعاً إذ يخرجُك قومك، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجيَ هم ؟ ، قال : نعم لم يأتي رجل قط بما جئت به إلا عادوه وآذوه» . وفعلاً تحققت نبؤة ورقة بن نوفل ، فقد آذوه وعذبوه وأخرجوه من مكة ودموعه على وجنتيه ﷺ وهو يقول : «والله إنك لأحب البقاع إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » .

وقد كان ﷺ عندما يتلقى نزول القرآن يتصبب عرقاً في أيام البرد الشديد ، كما ورد ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتصفد عرقاً حتى أنه كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت الناقة من ثقل جسمه عليها ، وهذا مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ⑤ ﴾ [المزمل : ٥] .

أجر تلاوته وحفظه :

إن عظمة المسلم تكمن في مصاحبته للقرآن الكريم ، فالمسلم الذي يعيش مع القرآن فإنه من أهل الله وخاصته ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن لله عز وجل أهلين من الناس ، قيل من هم يا رسول الله ، قال : هم أهل

القرآن ، أهل الله وخاصته » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : « **أهل القرآن أهل الله وخاصته**»، لذلك ضرب النبي ﷺ مثلاً للمؤمن الذي يقرأ القرآن حيث قال: « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**» .

ولهذا فإن الله عز وجل قد رتب الجزاء لمن يقرأ القرآن حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» ، وقارئ القرآن يوم القيامة يتبوأ منزلة رفيعة كما بينها الرسول ﷺ بقوله : «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» .

وكذلك فإن قارئ القرآن يلبس يوم القيامة تاج العزة والكرامة ، لقوله ﷺ : « **يجئ القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حله أي جمله وزينه ، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يا رب إرضى عنه فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارتق فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها** » لذلك كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : احفظوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ، ولا يحفظه إلا موفق .

وقد كان أُبي بن كعب رضي الله عنه أعلم الصحابة بالقرآن حتى قال عمر رضي الله عنه : أقرؤنا أبي ، وكان معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام ، وزيد بن ثابت أعلم بالفرائض ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشهور بالقضاء ، وحسانُ بن ثابت رضي الله عنه مشهور بالشعر والأدب .

وقد ثبت أن الرسول ﷺ سأل أُبي بن كعب رضي الله عنه فقال له : « **أي آية أعظم في كتاب الله** ، قال: الله ورسوله أعلم ، **فقال : أي آية أعظم في كتاب الله** ، قال : الله ورسوله أعلم ، **فقال : أي آية أعظم في كتاب الله**، قال:﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة :٢٥٥] ، فضرب ﷺ على صدره **وقال : ليهنك العلم أبا المنذر** ». فإذا افتخر الناس بالشهادات العالية ، وإذا افتخروا بالنياشين والوسامات ، فيكفي الإنسان أن يفتخر بكتاب الله عز وجل ، لأنه يكون بذلك من أهل الله وخاصته ، وقد ثبت أن الرسول ﷺ لما أنزل عليه سورة البينة ذهب إلى أُبيّ رضي الله عنه وقال له : « **إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة** ، قال أُبي : وسماني في الملأ الأعلى ، **قال : نعم سمّاك في الملأ الأعلى** ، فبكى أُبي رضي الله عنه ، ثم قرأ عليه ﷺ سورة البينة ».

ولهذا يجب أن يحسّن الإنسان صوته عند قراءة القرآن لقول الرسول ﷺ : «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن** ـ وقوله أيضاً ـ **زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً** » ، وقد صح أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ، كان يقرأ في ليلة من الليالي ، فمر الرسول ﷺ فاستمع لقراءته ، وفي الصباح لقيه وقال : «**يا أبا موسى ، لو رأيتني البارحة وأنا استمع لقراءتك ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود**»، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك تستمع لي لحبّرته لك تحبيراً ، أي لحسنته وجملته لك.

حياة الرسول ﷺ مع القرآن :

لقد عاش حياته ﷺ مع القرآن ، فكان لا يجلس مجلساً إلا مع آيات الله ، وكانت خطبه ومواعظه من القرآن الكريم، لذلك سئلت عائشة رضي الله عنها، عن خُلقه ، فقالت : « **كان خُلقه القرآن** ». فكان إذا قرأ القرآن يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من شدة البكاء،فذات مرة يقول لابن مسعود رضي الله عنه : «**إقراء عليّ القرآن،**

فقال: يا رسول الله كيف أقرؤه عليك وعليك أُنزل، **فقال: إني أحب أن اسمعه من غيري**، فبدأ يقرأ من أول سورة النساء حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] **قال: «حسبك الآن»**، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نظرت إليه فإذا عيناه تذرفان.

يمر عليه الصلاة والسلام جوار بيت، فيسمع عجوزاً تقرأ: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ وترددها ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ توقف ﷺ وهو يبكي ويقول: «**نعم أتاني، نعم أتاني**». ويروى أيضاً أنه قام ليلة من الليالي يصلي ويقرأ القرآن، فجعل يبكي حتى بلّ لحيته ﷺ، فجاءه بلال رضي الله عنه يستأذنه للصلاة، فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: « **يا بلال لقد أُنزلت عليّ الليلة آيات، ويلٌ لمن قرأها ولم يتدبرها** ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴿١٩١﴾ **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران ١٩١، ١٩٢].

ولذلك فقد أُمر ﷺ أن يقوم الليل بالقرآن، كما في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ** ﴿١﴾ **قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴿٢﴾ **نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا** ﴿٣﴾ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴿٤﴾ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴿٥﴾ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا** ﴿٦﴾ ﴾ [المزمل: ١- ٦].

حال المسلمين اليوم مع القرآن:

أما إذا سألتم عن حال المسلمين اليوم مع القرآن، فأقروا قول الله عز وجل: ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقوله أيضاً: ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ**

يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴾ [مريم: ٥٩]،وقال تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧] ، أضاعوا القرآن فأضاعهم الله . إن الرسول ﷺ : « **يقوَل تركت فيكم شيئين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسُنَّتي** » .

ولهذا فإن المسلمين عندما ابتعدوا عن هذا الكتاب العظيم ، وتركوه وراءهم ظهريا ، عاشوا حياة الذل والهوان ، وعاشوا حياة الغربة ، التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** » ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سياتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه .

وهذه هي الحالة التي يعيشها المسلمون اليوم مع القرآن ومن تلك الأحوال :

[١] فقد أصبح بعض المسلمين اليوم لا يعرفون القرآن إلا من خلال افتتاح الحفلات أو قراءته على الأموات، فالقرآن لم ينزل للتباهي به ، أو لجمع الأموال ، أو للتكسب والأكل به، فقد روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تستكثروا به** » .

[٢] وبعضهم أصبح لا يقرأ القرآن إلا قليلاً، فتجد بعض المسلمين يقرأ الصحف والمجلات يومياً ولا يقرأ من كتاب الله عز وجل آية واحدة ،وبعضهم يقف أمام الشاشة الفضية سبع ساعات، لكنه لا يستطيع أن يقرأ صفحة واحدة، يقف عند آياتها، يتدبرها ويعلم مستقرها ومستودعها،وبعضهم يسمع الأغاني ليل نهار،ينتقل من شريط إلى شريط، لكنه لا يستطيع أن يسمع شريطاً واحداً من كتاب الله، إن هؤلاء قد انسلخوا من القرآن وضلهم الشيطان ، قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

[٣] وبعضهم يقرأ القرآن ويحفظه لكنه لا يعمل به ، ولا يقف عند حلاله وحرامه ، ولا يتحاكم إليه، وقد ذكر النبي ﷺ : «**إن أول من تُسعر بهم النار**

يوم القيامة ثلاثة : الأول رجل آتاه الله القرآن فيقول الله له ، بعد أن يعرفه نعمته عليه ، ماذا عملت بهذا القرآن ؟ فيقول أي رب ، قرأت فيك القرآن وعلمته الناس، فيقول الله له : كذبت ، إنما قرأت ليُقال فلان قارئ فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار ، أما الرجل الثاني: فهو الشهيد الذي قُتل في أرض المعركة ، فيقول الله له: ماذا عملت ، هل قاتلت وجاهدت ؟ فيقول أي رب ، قاتلت فيك حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، إنما قاتلت ليُقال فلان شجاع ، فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار .... » إلى آخر الحديث لهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «والقرآن حُجة لك أو عليك » .

[٤] وبعضهم يقرأ القرآن ولكن بسرعة عجيبة ، تزيل عنه صفة التدبُّر والتفكر ، لهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لا تهذوا القرآن هذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . وثبت أن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما قال : لئن أقرأ سورة أرتلها ، أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله .

وذكر الزهري أن قراءة النبي ﷺ كانت آية آية ، لذلك يجب أن يتدبر الإنسان الآيات ويتفكر فيها ويتفاعل معها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾[ص :٢٩] ، وقوله أيضاً : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء : ٨٢] .

فالإنسان الذي لا يتفاعل مع القرآن،فإن قلبه مريض مُغلق عن الفهم والتدبر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد : ٢٤] . إذن ، فمن أراد أن يعيش حياة الأمن والأمان، ويجد طعم الإيمان ، فليقرأ القرآن ، بتدبر وتمعن ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقوله سبحانه: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾[الزمر:٢٣] ، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتلون كتاب الله ويتأثرون ويؤثرون به،فتلين جلودهم وتخشع قلوبهم وتدمع عيونهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) ﴾ [مريم : ٥٨] ،وقوله أيضاً: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ .

[الإسراء: ١٠٩] .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاعلون مع الآيات ، ولهذا روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قرأ من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾ [المطففين: ٦]. فبكى حتى انقطع صوته، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠] بكى أهل الصُفَّة ، حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع رسول ﷺ حس بكاءهم قال : «**لا يلج النار من بكى من خشية الله** » ، وقوله ﷺ : «**عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله** » وروي أيضاً : أن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ صلى المغرب يوماً فقرأ حتى إذا بلغ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ بكى حتى انقطعت قراءته. كذلك محمد بن المنكدر: بكى بكاءً شديداً حتى أشفق عليه أهله ، فذهبوا إلى صاحبه أبا حازم وقالوا له : إن صاحبك قد أهلك نفسه بالبكاء ، فأتي إليه وسأله ما الذي يبكيه ، فجاء إليه وقال: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ لقد أتعبت نفسك وأتعبت أهلك من بعدك ، فقال : يا أبا حازم يبكيني قول الله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] .

ونتيجة لبلاغة القرآن وقوة تأثيره ، حتى النصارى وهم في نصرانيتهم كانوا يتأثرون بهذا القرآن .كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

فوائد القرآن :

إن هذا القرآن يناديكم ويدعوكم إلى إقامة الصلاة عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وكذلك يدعوكم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ويحذركم من الكذب والحقد والحسد والنميمة، ويأمركم بالعدل والصدق والأمانة ،ويدعوكم إلى بر الوالدين والإحسان إليهما كما في قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء ٢٣ ، ٢٤] .

فلو بحثنا في الكتب القديمة والحديثة فلن نجد أمثال هذه الوصايا العظيمة التي بها سعادة الشعوب والأمم ، فإذا أردتم حياة العزة والكرامة ، فما عليكم إلا بالقرآن ، يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : «**إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين**» . وإذا أرتم حياة السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والندامة ، فما عليكم إلا بالقرآن ، فهو حرز من الشطيان ، ورجحان في الميزان ، ما تمسك به عبدٌ إلا عصمه الله ، وما أعرض عنه جبار إلا قصمه الله ، فمن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه : ١٢٤-١٢٦] .

إعجـــاز القـــرآن :

إن هذا القرآن العظيم الذي يفسر بعضه بعضاً ، ويشبه بعضه بعضاً ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾ [الزمر : ٢٣] .

إن هذا القرآن ، ليس فيه نقص ولا عيب ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾ [هود : ١] .

لذلك فقد شهد بعض المستشرقين المنصفين بعظمة القرآن الكريم ، فيقول المستشرق الفرنسي موريس : إن القرآن ، أعظم كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر ، وإنه كتاب لا ريب فيه ،ويقول مستشرق آخر : لعل القرآن ،هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم ،وهو بكل تأكيد ، أيسرها حفظاً ،وأشهدها أثراً في الحياة اليومية ، لمن يؤمن به ،ولذلك فقد تحدى الله سبحانه وتعالى به الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ،كما ورد في الآية الكريمة﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء : ٨٨]. ثم تحداهم بعد ذلك أن يأتوا بعشر سور من مثله ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) ﴾[هود :١٣] .ثم في آخر الأمر تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة لكنهم عجزوا عن ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ .

[البقرة :٢٣، ٢٤].

لقد أصبحنا الآن ، في عصر التقدم والتكنولوجيا ، ومع ذلك يعجز أصحاب العقول المفكرة والقلوب المريضة أن يأتوا بآية واحدة ، لا نقول سورة ، بل آية واحدة ، ولكن هيهات هيهات ، أنى لهم ذلك، إذن فالقرآن الكريم هو أعظم معجزة على الإطلاق ، فهو معجزة الدهور وآية العصور ، وقد أخبر عن أمور غيبية قبل ألف وأربعمائة عام ، ثم جاء العلم الحديث يؤكد صدق ما جاء في القرآن من غيبيات، من هذه الآيات المعجزة ،وردت آية في كتاب الله عز وجل تحرم الجماع فترة الحيض والنفاس،كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ثم جاء الأطباء في هذا العصر الحديث ، يحذرون من ذلك ، نتيجة للأضرار الحاصلة في هذه المرحلة .

كذلك وردت آية في كتاب الله عز وجل تدل على أن مياه البحار ومياه الأنهار لا تختلط بعضها ببعض كما قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾** ﴾ [الرحمن: ١٩- ٢٠] ، ثم جاء العلم الحديث ، فاكتشف الباحثون أن مياه البحار لا تختلط بمياه الأنهار ، ودللوا على ذلك بقولهم إن مياه البحر الأبيض المتوسط لا تختلط بمياه المحيط الأطلسي عند جبل طارق ، وغير ذلك من الإعجازات والآيات التي جاءت في القرآن الكريم . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾** ﴾ [فصلت : ٥٣] .